

## الفصل الثالث

المرحلة الأدبية الوسيطة



## المرحلة الأدبية الوسيطة

إننا نكون كمن يحاول أن يحرث في البحر إذا حاولنا فهم "تاريخ الأدب الوسيط لمصر والأقطار الإسلامية ، على ضوء الوطنية ، أو الإقليمية ، أو القومية العربية ؛ إذ أن الأساس الوحيد الصحيح الذي ينبغي أن تعتمد عليه هذه المحاولة ، هو تلك الرابطة التي أوجدها الإسلام بين هذه الأقطار . فعلى الرغم من أن مصر قضت ما بين سنتي ٢٥٤هـ - وهو تاريخ قيام الدولة الطولونية بمصر - سنة ٩٢٣هـ - وهو تاريخ الفتح العثماني لها ، أى حوالي سبعة قرون تتمتع باستقلال ذاتي ، مكَّنها من أن تلعب دوراً خطيراً في التاريخ العربي والإسلامي ، فإن المصريين لم يكونوا يجدون غضاضة في أن يتولى حكمهم أجنبي عنهم طالما كان مسلماً - سواء أكان طولونيا أم إخشيديا أم فاطمياً أم كردياً - من بني أيوب - ، أم مملوكاً .

وكانت مصر - بحكم مركزها من العالم الإسلامي ، وبحكم موقعها الجغرافي - محطاً للعلماء والمفكرين ، والأدباء المسلمين على اختلاف أوطانهم ؛ ولذلك تصادفنا الألقاب المشتركة لهؤلاء الرجال ، من مثل : فلان المصري ، المقدسي ، أو المغربي ، السكندري ، وهكذا .

وقد وصلت مصر في عهد الدولة الأيوبية ، وبعد ذلك في عهد المماليك ، إلى زعامة العالم الإسلامي كله ، بفضل ماضحت به في محاربة الصليبيين ، وفي صد هجمات المغول . وقد هيا لمصر أن تنهض بأعباء هذه الزعامة عدة عوامل ، منها : أن دولة الأيوبيين التي قضت على الخلافة الفاطمية ، ونجحت فيما أخفقت فيه من طرد الصليبيين ، قد أعادت الإمارات الصليبية إلى حظيرة الإسلام ، في الوقت الذي ضعفت فيه الخلافة العباسية في بغداد ، وعجزت عن القيام بدورها في حماية العالم الإسلامي . كذلك استطاع المماليك أن يصدوا تيار المغول ، الذين قوّضوا بغداد ذاتها ، كما نجحوا في مقاومة الصليبيين ، وطردها البقية الباقية منهم نهائياً من الساحل . وزادوا على ذلك أنهم حاولوا إحياء الخلافة العباسية في القاهرة ، فجلبوا الخلفاء العباسيين إليها ، للاقامة بها ، فاكتمسوا بذلك صفة شرعية ، خلقت لهم منزلة كبيرة ، وجعلت للقاهرة مقاما ، قصرت بغداد عن بلوغه .

فلا عجب إذن أن يوصف هذا العصر من قبل مؤرخي بغداد - بأنه عصر الانحطاط الأدبي والثقافي ، إلا أنه في مصر كان عهد الحفاظ على الحضارة العربية والتراث ؛ إذ أن مصر لم تعرف الانحطاط الثقافي والأدبي إلا في عصر العثمانيين . وقد استطاع صلاح الدين أن يقضى على كل أثر للفاطميين ودعوتهم في مصر ، بما استحدثه من المدارس السنّية ، التي انتشرت في كل مكان ، وحلت محل دار الحكمة ، أو دار العلم ، التي اعتمد عليها الفاطميون في نشر دعوتهم ، إلى جانب الأزهر والمساجد المختلفة ، وما ألحق بها من مكاتب .

وكان لهذه المدارس السنية فضل كبير في إزالة ما تبقى من آثار العقائد الفاطمية في مصر من ناحية ، وفي إثارة المشاعر الدينية ضد الصليبيين من ناحية أخرى ، بوساطة العلماء والفقهاء ، الذين تصدّوا لهذه المهمة الجليلة . وقد بلغ عدد هذه المدارس خمساً وعشرين مدرسة في العهد الأيوبي . وتابع المماليك الاهتمام بهذه المدارس : فأنشأ الصالح أيوب المدرسة الصالحية ، وكانت أشبه بجامعة تضم كليات لدراسة المذاهب الفقهية السنية الأربعة . كما أنشأ الظاهر بيبرس مدرسة عرفت باسمه في ( بين القصرين ) ، وزودها بمكتبة هائلة ، وجدد الجامع الأزهر ، وردّه إلى الحال

التي كان عليها زمن الفاطميين ، فقصدته الطلاب من جميع أرجاء العالم الإسلامي ، وبرز فيه علماء كبار ، من مثل : ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » ، وابن واصل صاحب « السيرة الظاهرية » . وقد تمثلت أسرة قلاوون نهج بيبرس فأكثر من بناء المدارس والجوامع والبيمارستانات . وسارت المماليك البرجية على سنة المماليك البحرية ، فبنى كل من السلطان برقوق ، والسلطان قايتباي ، والسلطان الغوري مدارس ومساجد عديدة ، امتلأت بالأساتذة والمدرسين ، وزودت بالكتب المختلفة في شتى العلوم والفنون ، وظلت ناهضة بمسئوليتها العلمية حتى دخول العثمانيين .

وقد كان بين سلاطين الأيوبيين في مصر والشام شعراء وأدباء كثيرون ، وكانوا يحتفون بالأدباء والعلماء احتفاء كبيراً . وعلى الرغم من أن المماليك لم تكن لهم قدرة الأيوبيين ، ولا مشاركتهم في الحركة العلمية والأدبية ، فإنهم لم يقلوا عنهم عناية واحتفاء بالعلماء والأدباء ، وتشجيعاً لهم ، وإغداقاً عليهم .

وبمجيء العثمانيين إلى مصر ، تغير وجه الحياة المصرية ، وأصاب الحركة العلمية ، والنهضة الأدبية تعطل بل جمود . وانحصر النشاط العلمي والفكري والأدبي في الأزهر الشريف ، الذي لقي من رعاية العثمانيين ما مكّنه من مواصلة دوره .



وقد أثر عن عصر الأيوبيين والمماليك مؤلفات عديدة ، تتسم بالموسوعية في شتى الفنون والآداب . ذلك أن مصر فتحت صدرها للعلماء والأدباء اللاجئين إليها ، فغارا من الخطر المغولي الذي اجتاح بغداد . وشجعهم سلاطين المماليك على إنقاذ التراث الإسلامي العربي ، فجمعوه في كتب كبيرة ، أشبه بدوائر المعارف ، من مثل : لسان العرب لابن منظور ، الذي جمع فيه صاحبه ستة كتب هي : التهذيب

للأزهري ، وصيَّحاح الجوهري ، وحواشي ابن بَرِّي على الصَّحاح ، والمَحْكَم لابن سيده ، والمَخْصَص له أيضاً ، والنهية لابن الأثير . وهو بهذا أوسع المعاجم اللغوية ، ويشتمل على فنون لغوية ونحوية وصرفية وفقهية وأدبية وأخبارية وأحاديث وتفسير للقرآن .

ومن هذه الموسوعات أيضاً نهاية الأرب للنويري في ثلاثين جزءاً ، ومسالك الأَبصار في ممالك الأَمصار لابن فضل الله العمري في أربعة عشر جزءاً ، وكتاب صَبْح الأَعشى للقلقشندي .

وقد رافقت هذه الحركة العلمية المزدهرة في عصر الأيوبيين والمماليك ، والتي تمثلت في بناء المدارس لتعليم الفقه والحديث ، ولإذكاء روح الحماس الديني اللازم للتصدي لأعداء الإسلام من الصليبيين والمغول ، حركةً نشطة لبناء الخوانق التي يقيم فيها المتصوفة ، وإجراء الأرزاق عليهم . وقد انتشرت هذه الخوانق في كل مكان ، وكانت تفتح أبوابها لايواء الغرباء من المسلمين ، وللمتصوفين الذين كانوا ينقطعون فيها للعبادة والذكر .

وقد أنشأ صلاح الدين أول خانقاه في مصر ، وهي خانقاه سعيد السعداء ، ونافسه المماليك في بناء الخوانق ، فبنى بيبرس الخانقاه البيبرسية ، كما بنى الناصر محمد بن قلاوون خانقاه سرياقوس . وكانت الخانقاه في عصر المماليك تقوم بمهمة المدارس ، فيدرس فيها الفقه على المذاهب الأربعة ، والتفسير والأصول .

وقد أبرزت هذه الحركة العلمية والصوفية أعلاماً من المتصوفة الفقهاء كالسيد عبد الرحيم القنأى . والمتصوفة الفلاسفة كعمر بن الفارض سلطان العاشقين ، والفلاسفة الدراويش ، الذين تعددت طرقهم . وقد أحصى منهم المؤرخون ستاً وثلاثين طريقة أشهرها الرفاعية والشاذلية والأحمدية . وكان حظ هذه الطرق من العلم قليلاً ، ومن الفكر أقل ، حتى إنهم شغلوا عن لبِّ الدين بقشوره . وآمنوا ببعض الخرافات . وانحصرت العبادة عندهم في الأذكار ، وأسقطوا التكاليف .

وهكذا انحدر التصوف من الاهتمام بأمور الدين وفقهه وفلسفته ، إلى الفساد

والانحراف والبدع والخرافات ، ومن المرابطة والجهاد في سبيل الله إلى التنطع والذكر في الموالد . وصادف ذلك اضمحلال دولة المماليك ، ومجيء العثمانيين .

أما موقف المماليك في إبان قوتهم من الحركة الأدبية ، فقد لقي الأدباء والشعراء من سلاطين المماليك ، ما كانوا يلقونه من خلفاء الفاطميين ، وملوك بني أيوب من تشجيع وتقدير . وواصل الأدب في عهد المماليك ازدهاره الذي بلغه في العهدين السابقين . وكانت الدولة الفاطمية حريصة على نجاح دعوتها ، فاعتمدت في ذلك على الشعراء والكتّاب ، وأصحاب الأقلام والألسن ، الذين أغدقت عليهم بسخاء ، فكان أن أقبلوا عليها ، والتفوا حولها ، وتحمسوا لها ، وهو ما انعكسه مرثية عمارة اليميني في دولة الفاطميين بعد انهيارها .

وكذلك كان بنو أيوب الذين أسهموا في الحركة الأدبية بأنفسهم ، وكذلك صنع المماليك الذين شجعوا الأدباء والشعراء ، فازدهر الشعر السياسي ، الذي أذكاه التحمس الديني في مواجهة أعداء الإسلام ، فنتج عن ذلك شعر القومية الإسلامية ، الذي تجاوبت به مصر والشام والعراق . وتصادفنا في عهد الدولة الأيوبية أسماء شعراء أشادوا بصلاح الدين : كالعماد الأصفهاني ، وسبط بن التعاويذي البغدادي ، وابن سناء الملك المصري ، وابن عُنين ، وابن النبيه ، والبهاء زهير ، وسبط بن الجوزي ، وابن مطروح . أما في العصر المملوكي فتطالعنا أسماء شعراء من المتصوفة : كالبوصيري والشعراني وابن الكيزاني ، وإبراهيم الدسوقي ، الذين اهتموا بالمدح النبوي ، ونشروا خلاله أفكاراً عن الحقيقة الحمديّة ، والنور الحمدي ، وملئوها حماسة وفداء .

في هذه الفترة تصادفنا في الشعر ثلاثة اتجاهات :

**الأول :** الاتجاه البديعي ، ويغلب عليه التكلف والصنعة . وأكثر ما يكون في شعر المناسبات ، الذي يتأثر كثيراً بحياة الحكام والدواوين . ومن فرسانه القاضي الفاضل ، والعماد الأصفهاني ، وابن سناء الملك ، وابن النبيه ، وابن الساعاتي ، وكلهم من شعراء الأيوبيين . أما شعراء المماليك فمنهم ابن نباتة المصري .

الثاني : الاتجاه الذاتي الذي كان بسيطاً ومتحلاً إلى حد كبير من قيود الصنعة اللفظية . وقد شاع هذا الاتجاه في أغراض الغزل والمدائح النبوية ، وقد غلبت عليها الرقة والسهولة . وخير من يمثل هذا الاتجاه البهاء زهير ، وابن مطروح ، وأبو الحسين الجزار ، والسراج ، والوراق وغيرهم .

الثالث : وهو ما عرف بمدرسة المجون أو التحامق . وقد اشتهر فيها أبو حامد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق ، وصريع اللداء ، وصالح بن يونس ، المعروف بابن مكنسة . وقد غلب على شعر هذه المجموعة التهكم والتندر ، في حين غلب على شعر المجموعة الأولى فنون التورية كالإيهام والتوجيه والإلغاز - حتى ليذهب بعض المؤرخين إلى أن الأدب منذ أواخر العصر الفاطمي إلى نهاية العصر العثماني كان تورية من أوله إلى آخره . ويرون أن هذا الفن يكشف عن طبيعة الشخصية المصرية .

وعندما دخل العثمانيون مصر سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٦م طُوِّبَتْ صفحة التفوق في العلم والأدب ، وعاش الدارسون على ما حصلَّوه من زاد في عصر الأيوبيين والمماليك . وانحصر همهم في شرح الكتب القديمة ، ووضع الحواشي والتقارير ، مما يدل على أن هذا العصر كَبَتْ قوى الإبداع ، واعتقل ألسنة الأدباء ، وأصاب الحركة الأدبية بالعمق والجمود . وقد اضطر « ساجقلى زاده . ت ١١٥٤ هـ » إلى وضع كتاب عنوانه ( ترتيب العلوم ) ، ويرر صنَّعه بقوله : إنه نظراً لتكاثر الشروح ، وشروح الشروح ، والحواشي ، وحواشي الحواشي ، وتفرع العلوم وكثرتها .. أصبح أمرها عقبة في طريق طلاب العلم ؛ إذ يلتبس عليهم فهم القضايا ، فألَّفْتُ هذا الكتاب لترتيب العلوم بحيث يُعرف الأصل من الفرع .

ولم يكن في هذا العصر من حسنة إلا « الزبيدي » الذي يُعدُّ فلتة من فلتاته . وقد جاء إلى مصر من اليمن سنة ١١٦٠ هـ . وقد شرح القاموس المحيط للفيروزبادي ، في أربعة عشر مجلداً . وسمى شرحه « تاج العروس في شرح القاموس » وهو دائرة معارف لغوية ونحوية وصرفية وأدبية ، قريبة الشبه من لسان العرب لابن منظور .

وطبيعي ألا يبرز أديب عملاق ، أو شاعر مرموق ، في عصرٍ حكّمه الأتراك العثمانيون ، الذين وجهوا اهتمامهم إلى نهب ثروات مصر ، وبخاصة ثرواتها البشرية ، الإنسان . حيث نقلوا مهرة العمال إلى إستانبول ، وامتلأ عصرهم بالعسف والرشوة ، والفساد والظلم والاضطهاد .

أما عن شعراء العصر العثماني ، فكانوا من أوساط الشعراء ، من أمثال الشيخ حسن البدرى ، والشيخ عبد الغنى الطرابلسى ، وأسعد مصطفى اللقى الدمياطى ، وابن الصلاحى ، والشيراوى . ولم يكن لواحد منهم باع ، أو شهرة في مجال الإبداع .

وتغلب على أشعارهم الخذلقة القائمة على نقل النقط بين الحروف ، وهو نوع سخيف من التصحيف ، لا يدل إلا على الإفلاس الفنى ليس غير . ووصل الاحتفاء بمثل هذا الهذر والاهتمام بحساب الجُمَّل ، وضروب البديع المتكلف ، إلى الحد الذى يصفه الأستاذ العقاد في فصوله بقوله :— « لقد كان رفْعُك لخرقة متنتة خيراً من النظر في بيت شعر من أشعارهم » .

وعلى نحو ما ازدهر الشعر على عهد الأيوبيين والمماليك ، وانتكس على عهد العثمانيين — كانت الكتابة أيضاً ، وكانت قد بلغت حداً من البراعة على أيدي كُتّاب متمكّنين — كالقاضى الفاضل ، والعماد الأصفهاني في العهد الأيوبي ، ومحيى الدين ابن عبد الظاهر في العصر المملوكى .

أما الكتابة الهزلية ، فقد ازدهرت هى الأخرى في العصر الأيوبي . ومن نماذجها في ذلك العصر : رسائل الوهراني ، وكتاب « الفاشوش في حكم قراقوش » لابن ممانى ، وقد وجدت بعض نماذجها الهزيلة في عصر العثمانيين مثل :— « هز القحوف في شرح قصيدة أنى شادوف » للشريبنى .

وقد برع في التأليف لعصر الأيوبيين ، أبو على الجوانى المصرى ، صاحب « طبقات الطالبين » ، والعماد الأصفهاني صاحب « الفتح القسى في الفتح القدسى » وهو تاريخ حياة صلاح الدين ، وفتح بيت المقدس ، و « خريدة القصر

وجريدة العصر « وهو تراجم لأدباء القرن السادس ، يسير وفق نهج « يتيمة الدهر »  
للثعالبي ، و « دمية القصر » للباخرزي ، وله أيضاً « البرق الشامي » ، وفيه أخبار  
فتوح الشام في سبعة مجلدات . ومن مؤرخي هذا العصر ابن شداد الذي أرّخ  
لسيرة صلاح الدين في « النوادر السلطانية » ، وقد تتلمذ عليه ابن خلكان صاحب  
« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » وهو معجم تاريخي ضخم ، وذخيرة علمية  
وأدبية وتاريخية ولغوية في غاية الأهمية .

وقد أبرز عصرُ بنى أيوب القفطى ، صاحب « إخبار العلماء بأخبار  
الحكماء » ، والإدقوى صاحب « الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى  
الصعيد » وهو تراجم لنجباء الصعيد بمصر ، وممن أرّخوا للدول أبو شامة - شهاب  
الدين المقدسى الشافعى - الذى يُعدُّ مؤلفه « الروضتين في أخبار الدولتين النورية  
والصلاحية » - من أوسع المصادر العربية والإسلامية لتاريخ الحروب الصليبية ، وابن  
واصل الذى عاصر الدولتين الأيوبية والمملوكية ، وترك لنا كتابه القيم « مفرج الكرب  
في أخبار بنى أيوب » .

وقد حظيت مصر في عهد المماليك بطائفة من أبرع المؤرخين كالمقريزى صاحب  
« المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » المعروف بخط المقريزى ، فضلاً عن  
تأريخه لعصور التاريخ المصرى الإسلامى الثلاثة : عصر التبعية للخلافة في « عقد  
جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط » ، والعصر الفاطمى في « أتعاظ الخنفا  
بذكر الأئمة الخلفا » ، وعصر بنى أيوب في « السلوك لمعرفة دول الملوك » ، فضلاً  
عن « المقفى الكبير » في تراجم حكام مصر ، و « دُرر العقود الفريدة في تراجم  
الأعيان المفيدة » ، و « النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم » ، وكتابه  
الشهير « إغاثة الأمة بكشف الغمة » الذى أرّخ فيه لأحوال مصر الاجتماعية ، وما  
أصابها من محن ومجاعات ، عزاها إلى سوء تدبير الزعماء والحكام ، وهو تفسير  
اقتصادي تاريخي ، تابع فيه نهج أستاذه ابن خلدون .

ومن مؤرخي العصر المملوكى الكبار « أبو المحاسن بن تغرى بردى » صاحب

« النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ، وهو مرتب حسب السنين على نهج الطبرى وابن الأثير ، ولا يقتصر فيه على السياسة ، وإنما يؤرخ لمناشط الحياة بما فيها الأدب ، شعره ونثره . وقد تتلمذ عليه السخاوى ، الذى درس على ابن حجر العسقلانى ، وألف كتابه « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » . كما أكمل سلوك المقرئى بكتابه « التبر المسبوك في ذيل السلوك » .

ومن أشهر المؤرخين لهذا العصر « ابن إياس » صاحب « بدائع الزهور في وقائع الدهور » وهو تاريخ شامل لمصر منذ أقدم العصور حتى أوائل العصر العثمانى . ولعل السيوطى هو أغزر هؤلاء المؤلفين جميعاً إنتاجاً ، وقد برع في جميع العلوم ، وأرّبت كتبه على الخمسمائة ، قرب فيها العلوم إلى أهل عصره ، وانتشرت ملخصاته وتهذيباته في أرجاء العالم الإسلامى .

وقد أصاب الكتابة في عهد العثمانيين ما أصاب العلم والأدب من انحسار وانحطاط . ولا نكاد نجد في هذا العصر علماً يضارع أولئك الأعلام من رجال العصر الأيوبي أو المملوكى ، باستثناء الشيخ عبد الرحمن الجيرى ، الذى عاش فترة من حياته في عهد العثمانيين ، وعاش الفترة الباقية في سنوات الحملة الفرنسية ، وبعض سنى حكم محمد على ، وقد أرخ للفترة التى عاش فيها في « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » ، فكان مثال المؤرخ الأمين على وطنه ، وعلى الحقيقة . وتتضح في أسلوبه الرّكّة ، وينزل درجات عن أسلوب من سبقوه من المؤرخين . ولا شك أنه في هذا واحد من المتحدثين باللغة في ذلك العصر ، الذى ضعفت خلاله العربية ، فحفلت بهذه الظواهر من الركاكة واللحن .



عَوْدٌ إِلَى النُّصُوصِ



## عَوْدٌ إِلَى النُّصُوصِ

### يَاغَزَلًا رَنَا

لابن نباتة (٦٨٦ - ٧٦٨ هـ)

جمال الدين بن شمس الدين بن نباتة المصري . كان أبوه من شيوخ الحديث بدمشق ، وترجم له صلاح الدين الصفدى في « الوافى بالوفيات » ، ومن أجداده عبد الرحيم بن نباتة خطيب حلب في عهد سيف الدولة . ومن هنا جاء فخر شاعرنا بأبائه وأجداده ، وتعريضه خلال هذا الفخر بأبى الحسين الجزار ، ونصير الدين الحمّامى ، وغيرهما من الشعراء البسطاء ، وأصحاب الحرف .

وقد عمرّ طويلاً ، فشهد كثيراً من الفتن والأحداث ، كما شهد الخطر المستشري من التتار ، والمجاعة التى مُنِيَتْ بها مصر ؛ فرقت نفسه ، واضطربت أعصابه ، واحتدّ مزاجه . وصورة نفسه من شعره صورة رجل يؤثر الدعة والاستكانة . ويبدو أن الحال قد ضاقت به فى آخر عمره ، فرحل عن مصر ، وكثر تعلقه فى البلاد . إلا أنه كان لايفتأ يذكر مصر ، ويحنُّ إليها .

ويمتاز شعره بالركة والسهولة ، التي تميز شعر المدرسة المصرية ، كما يزخر بألوان  
البديع المختلفة ، وأكثرها ظهوراً في شعره : التورية ، والتضمين . طُبِعَ ديوانه  
١٣٢٣ هـ ، ١٩٠٥ م .

يقول :-

والذى زاد مُقْتَبِك اقتداراً  
مأظُنُّ الوُشاةِ إلا غِيَارِي  
بِهِمْ مِثْلُ ما بِنَا مِنْ جُفُونِ  
شاجِياتِ تَهْتِكِ الأَسْتارَا  
كَلِّمًا جالَ لَحْظُها تَرَكَ النابِ  
سَ سُكَّارِي ، وما هُمُ بِسُكَّارِي  
ياغزالاً رِنا ، وِعُصْناً تَشِي  
وهللاً سَمًا ، وَبَدراً أنارا  
كان دَمْعِي على هِواك لُجِينا  
فأحائِثُه نارُ قَلْبِي نُضارا  
حِلِيَّةٌ لا أُعِيرُها لِمَحَبِّ  
شَعَلَّ الخَلِي أهله أن يُعارا  
مالِقَلْبِي اليتيم ضَلَّ وقد آ  
نَسَ مِنْ جانِبِ السَّوَالِفِ نارَا  
لَكَ جِيدٌ ومُقَلَّةٌ تَرَكا الظُّبِ  
ي - لِفَرَطِ الحِياءِ - ياوى الفِفارَا  
وثايا أَخَذَنَ في رِيقِها الخَمِ  
رَ وَأَعْطِينِ للعقولِ الخَمَّارَا

عاطرات الشِّمِّمِ تحسَّبُ فيهنَّ  
نَ شِذَاءً مِنْ ثَنَائِ ابْنِ شَادٍ مُعَارَا  
المَلِيكَ المُوَيَّدِ المُلَازِمِ السُّؤ  
ذِدِ، إِنْ حَلَّ حَلًّا، أَوْ سَارَ سَارَا  
وَالجَوَادُ الذِي حَبَا المَالَ حَتَّى  
كَادَ يَجْبُو الأَعْمَالَ والأَعْمَارَا  
أَعْدَلُ المَالِكِينَ حُكْمًا فَمَا يَظ  
لِمُ إِلَّا العُدَاةَ وَالدِيَارَا  
فَاحِ ذِكْرًا، وَفَاضَ فِي الخَلْقِ نَهْرًا  
فَحَمِدْنَا الرِّيَاضَ وَالأَنْهَارَا  
لَيْسَ فِيهِ عَيْبٌ سِوَى أَنْ إِحْسَا  
نَ يَدِينَهُ يَسْتَعْبِدُ الأَحْرَارَا  
البِدَارَ البِدَارَ نَحْوِ نَدَاهُ  
فَإِذَا صَالَ فَالْفِرَارَ الفِرَارَا

## الرَّيْع

لصفي الدين الحلبي (٦٧٧ - ٧٥٠ هـ)

عبد العزيز سرايا بن علي بن أبي القاسم ، ولد ونشأ بمدينة ( الحِلَّة )  
بالعراق . وصفه بعض من ترجموا له بأنه كان ذا قدرة تامة على النظم  
والنثر ، وخبرة بالعلوم العربية . وقال ابن شاعر : إنه شاعر عصره على  
الإطلاق . اشتغل بالتجارة ، وتحوّل بين بغداد والشام ومardin ، وفي  
غضون ذلك كان يمدح الملوك والأعيان ، وانقطع مدة إلى ملوك مardin . أما في  
القاهرة التي دخلها سنة ٧٢٦ ، فقد مدح علاء الدين بن الأثير ، فأقبل عليه  
وأوصله إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون . وقد ترك صفي الدين ديواناً ضخماً  
من الشعر ، طبع أكثر من مرة ، وهو مقسم على أغراض الشعر المختلفة . كما  
اشتهرت بديعته التي تولى شرحها بنفسه .

يقول :-

خَلَعَ الرَّيْعُ عَلَى غُصُونِ الْبَانَ  
حُلَاً فَوَاضِلُهَا عَلَى الْكُتْبَانَ  
وَمَثُ فُرُوعِ الدُّوْحِ حَتَّى صَافَحَتْ  
كَفَلَ الْكُتَيْبِ ذَوَائِبُ الْأَغْصَانِ  
وَتَسَوَّجَتْ هَامَ الْغُصُونِ ، وَضَرَجَتْ  
خَدَّ الرِّيَاضِ شَقَائِقُ النِّعْمَانِ  
وَتَسَوَّعَتْ بُسْطُ الرِّيَاضِ ، فَزَهْرُهَا  
مَتَبَايِنُ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ  
مِنْ أَيْضِ يَقْقِي ، وَأَصْفَرَ فَاقِعَ  
أَوْ أَزْرَقِ صَافٍ ، وَأَحْمَرَ قَانِي

والظِّلُّ يسرُقُ في الخِمْائلِ حَطْوَهُ  
والغِصْنُ يَحْطِرُ خِطْرَةَ النشوانِ  
وكأَنَّ الأَغْصانَ سُوقَ رواقِصِ  
قد قَيَّدتْ بسلاسلِ الرِّيحانِ  
والشمسُ تنظُرُ من خلالِ فروعها  
نحو الخدائِقِ نِظْرَةَ العَيْرانِ  
والطَّلَعُ في حَلَلِ الكِمَامِ كأنه  
حُلَلٌ تَفْتَقُ عن نَحْوِ غِوانِ  
والأرضُ تعجَبُ ، كيف تضحكُ والحيا  
بيكى ، بدمعِ دائِمِ الهَمَلانِ  
فاصرفُ همومَكَ بالريِّعِ وفصله  
إن الرِّيعَ هو الشابُّ الثاني  
أنى ؟ وقد صَفَّتْ المِياهُ وزُحُرفتْ  
جناثُ مِصرَ ، وأشرقَ الهَرمانِ  
واخضَرَ وادِيعا ، وحدَّقَ زهره  
والنيلُ فيه ككواكِبِ بِيانِ  
وبه الجِوارى المِشآتُ كأنها  
عند المِسيرِ تُهْمُ بالطيرانِ  
والماءُ يسرِعُ في التَدَفُّقِ كلما  
عَجَلتْ عليه يَدُ النسيمِ الوانِ  
حتى إذا كَسِرَ الخَلِيجُ ، وقَسَّمتْ  
أمواهُ لجتَه على الخَلِجانِ

ساوى البلاد ، كما تساوى فى الندى  
بين الأنام مواهب السلطان  
ملك ، إذا اكتحل الملوك بنوره  
خروا لهيئته إلى الأذقان  
قد عزّ دين محمدٍ بسميه  
وسما بنصرته على الأديان  
شاهدته ، فشهدت لقمان الحجا  
ونظرت كسرى العدل فى الإيوان  
ورأيت منه سماحةً وفصاحةً  
أعدى بفيضهما يدي ولساني